دراسة النصوص لغوياً وفنياً

من المعروف أن الكلام العربى قد جاء على صورتين مختلفتين شكلا هما : الشعر والنثر ، والمقصود من ذلك الكلام العربى فى اللغة الفصحى العامة إذا قصد بها التعبير الراقى عن المشاعر والأفكار .

ذلك أن من المتصور أن الكلام الذى يدور بين الناس فى حياتهم العادية لم يكن إلا نثراً عادياً يرسل إرسالا ، ليؤدى التفاهم والتواصل وقضاء المصالح .

وبهذا الفهم يعلم أنه لا معنى للنقاش حول ما إذا كان الشعر أسبق من النثر أو أن النثر أسبق من الشعر ، لأنه إذا فهم النثر على أنه كل كلام غير موزون ولا مقفى ، فإن النثر قد سبق الشعر قطعاً ، لأن من طبيعة الحاجات الاجتماعية اللجوء المباشر إلى الوسيلة التى تقضى بها هذه الحاجات خالية من القيود والتكلف ، ولا شك أن النثر أكثر تلبية لهذه الحاجات من الشعر .

ولعل المختلفين حول هذه المسألة يقصدون بخلافهم النثر الفنى أو الشعر الفنى ، وهو الكلام الذى يقصد بالتأليف ليعبر عن شعور متخير بصورة تلائم هذا الشعور ، فالموضوع بهذه الصفة محتمل حقاً لأن يكون موضع خلاف وترجيح ، وعلى كل ، فإن هذه المسألة تتفرع على موضوع أكبر هو « البحث فى نشأة اللغة » مما اشتغل به الناس قديماً وحديثاً ، لكنه أصبح الآن من قضايا الغيب التى لا يسمح لها بالدراسة فى اللغة ، فليكن النثر أسبق فى الوجود من الشعر أو العكس ، فإن هذا لا يؤثر كثيراً ، بل لا يفيد فى مظهر هذا الوجود نفسه الذى تمثل فى نوعين مختلفين من الكلام